

كان النبي - صلى الله عليه وسلم - وأصحابه يذكرون الله وكأنما على رؤوسهم الطير

## الصبر على الطاعة من أفضل أعمال البر

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم

وما أعطى أحد من عطاء خير وأوسع من الصبر



رواه مسلم

■ كثير من الخلق يسهل عليهم الصبر على المصائب والبلايا وعن المعاصي ولكن قليلاً منهم من يصبر على طاعة الله

■ كان صبر يوسف عن مطاوعة امرأة العزيز أكمل من صبره على إلقاء إخوته له في الجب وبيعه لأنهما أمور جرت بغير اختياره

باطلاً، من أم الناس قليخفف فإن فهم الضعيف... الحديث. وكان الصحابة رضوان الله عليهم الذين كان يؤمهم الرسول صلى الله عليه وسلم في المغرب أحياناً بالأعراف والصفوات، والذين أهم أبو بكر الصديق مرة بالبقرة كلها في صلاة الصبح، والذين كثيراً ما كان يؤمهم عمر في الصبح بيوسف، وتدريب الرسول صلى الله عليه وسلم على معال رضى الله عنه لأنه كان يصلي معه العشاء ثم يذهب ليؤم فومه بعد ذلك، وقد أهم يوم بالبقرة في الركعة الأولى من العشاء، وبالقر في الثانية، وعندما خرج اعرابي من صلاته، نال منه معاداً بأنه منافق! ومن أجل ذلك قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما

أين هذا كله مما عليه الأئمة الآن؟! ففتين إن احتجاج البعض بهذا الحديث ليس في موضع النزاع، فمن فعل كما فعل معاذ يكون فتناً حقا، ولكن من من الأئمة الآن يستطيع أن يفعل ذلك ولو كان فذاً؟

عجب من هؤلاء جميعاً من يحيى ليته بالرخص، والتواجد، والضرب بالأقدام على الأرض، فإذا حان وقت صلاة الصبح تفرق جهنم، ومن يلي ضلتي بهم بقصر المفضل من غير اطمئنان ولا خوف.

لقد صاغ العلامة ابن القيم رحمه الله حال هذه الطائفة الصوفية - التي أسست على الكسل كما قال الشافعي، شعراً، حيث ذكر جهنم واجتهادهم عند السماع، والرخص، والتواجد، الذي هو دين عباد العجز، عندما اتخذ لهم السامري عجلاً جسداً له حواري، فقاموا حواريه يرفسون ويتواجدون حتى يقع أحدهم مغشياً عليه، فالرخص، والتواجد، والسماع الصوفي ليس من الإسلام الذي شرعه الله لعباده على لسان محمد صلى الله عليه وسلم، فقد كان هو وأصحابه يذكرون الله وكأنما على رؤوسهم الطير من الوفاء والسكينة، فطارنا له يصودهم عن سماع آيات القرآن والتعلم.

إليه واكره من مفسدة وجود المعصية، وما قاله شيخ الإسلام هو الحق، فقد قرن الله بين الصبر والإيمان والعمل، حيث قال في سورة العصر: «والعصر إن الإنسان لفي خسر إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر»، ولهذا قال الشافعي -رحمه الله- لو لم ينزل من القرآن إلا هذه السورة لتكانت كافية وحجة على الأمة.

والدليل على ذلك أن كثيراً من الخلق يسهل عليهم الصبر على المصائب والبلايا وعن المعاصي، ولكن قليل منهم من يصبر على طاعة الله عز وجل. بل من الناس من يصبر على المعاصي ويتحمل من أجلها ما لا يتحمل معشار معشاره على طاعة الله عز وجل.

قال المزي رحمه الله: سمعت الشافعي -رحمه الله- يقول: رأيت بالمدينة المنورة أربع عجائب، رأيت جادة بنت إحدى وعشرين سنة، ورأيت رجلاً فسه القاضي في مدين نوى، ورأيت شيخاً قد أتى عليه تسعون سنة، يدور نهاره أجمع حافياً راجلاً على القينات يعلمهن الغناء، فإذا أتى الصلاة صلى قاعداً، وسئدت الرابعة، وشاهدنا في قوله: «رأيت شيخاً قد أتى عليه تسعون...» إلخ.

وما تعجب منه الشافعي، وحق له أن يعد ذلك من العجائب، شأده، فإنه تجد البائع وفقاً في سوقه من الصباح إلى المساء لا يلتفت ولا يفقد، وكذلك منجج الكرة يقف على رجل واحدة ويصبح يمدل، فيه ويدخل للملعب قبل ثلاث ساعات من موعد المباراة، وتجد الفنان يقف الحفلة إلى مشارف الصبح، والمصلي يخرج من المسجد يقف بتكلم في أمور الدنيا الساعة والساعتين، وغيرهم كثير، فإذا استقرت الصلاة ربع ساعة، أو اطمأن الإمام في ركوعه وسجوده قديلاً، قامت الدنيا ولم تقعد، وتضجر الناس، واشتكو، ومنهم من يشكو الإمام إلى المسؤولين وإلى لجنة المسجد، ورفع في وجه الإمام كلمة الحق التي يريدهون بها

قال الشافعي: «رأيت شيخاً قد أتى عليه تسعون سنة، يدور نهاره أجمع حافياً راجلاً على القينات يعلمهن الغناء، فإذا أتى نصفه صبر والنصف الآخر لسكر، وقد ذكر الصبر في القرآن في تسعين موضعاً في موطن المدح والثناء والأمر به، وهو واجب بإجماع الأمة، وهو أنواع:

1. الصبر على طاعة الله، وهو الأفضل.
2. الصبر عن معصية الله عز وجل، وهو بيني النوع الأول في الفضل.
3. الصبر على امتحان الله عز وجل.

قال ابن القيم رحمه الله: «فالاولان صبر على ما يتعلق بالكسب، والثالث صبر على ما لا كسب للبعد فيه». وسمعت شيخ الإسلام ابن تيمية -فتس الله روحه- يقول: كان صبر يوسف عن مطاوعة امرأة العزيز على شأنها أكمل من صبره على إلقاء إخوته له في الجب، وبيعه، وتقربهم بيته وبين أبيه، فإن هذه الأمور جرت عليه بغير اختياره، ولا كسب له فيها، ليس للبعد فيها حيلة غير الصبر، أما صبره عن المعصية، قصير الاختيار ورضاء، ومحاربة النفس، ولا ينمنا مع الأسباب التي تقوى معها دواعي الموافقة، فإنه كان شاعياً، وداعية الشيب إليها قوية، وعزياً ليس له ما يعوضه ويريد شهوته، وغريباً والغريب لا يستحي في بلد غريبته مما يستحي منه من بين أصحابه وعارفة وهاته، ويمتلك والملوك أيضاً ليس له وازع كوازع الحر، والمرأة جميلة، وذات منصب، وهي سيدته، وقد غاب الرقيب، وهي الداعية له إلى نفسها، والحريصة على ذلك أشد الحرص، ومع ذلك توعدته إن لم يفعل بالسجن والصغار، ومع هذه الدواعي كلها صبر اختياراً وإيماناً لما عند الله، وأين هذا من صبره في الجب على ما ليس من كسبه؟! وكان يقول: الصبر على أداء الطاعات أكمل من الصبر على اجتناب المحرمات وأفضل، فإن مصلحة فعل الطاعة أحب إلى الشارع من مصلحة ترك المعصية، ومفسدة عدم الطاعة أبغض

نزلت في جذر قلوب الرجال قبل هبوط الوحي بكتاب الله

## الأمانة.. ضمير حي إلى جانب فهم صحيح للقرآن والسنة

الإمامة التي تدعو إلى رعاية الحقوق، وتصحة عن الدنيا، لا تكون بهذه المثابة إلا إذا استقرت في وجدان المرء، ورست في أعماله، وهيمت على الداعي والقاصي من مشاعره، وذلك معنى حديث حذيفة بن اليمان عن رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: «إن الأمانة نزلت في جذر قلوب الرجال، ثم نزل القرآن، فلعلموا من القرآن وعلموا من السنة، والعلم بالشريعة لا يغني عن العمل بها، والأمانة ضمير حي إلى جانب الفهم الصحيح للقرآن والسنة.

وإذا مات الضمير انتزعت الأمانة، فما يغني عن البره تربية لأليات، ولا دراسة للنس، وأدعاء الإسلام يزعمون للناس وقد يزعمون لأنفسهم أنهم أماء، ولكن هيهات أن تستقر الأمانة في قلب تنكر للحق ومن ثم يستطرد حذيفة التي تخلف فيها من القلوب التي تسرب الأمانة إلى العيون، فيروي عن الرسول: «ثم حدثنا عن رفع الأمانة فقال: ينأى الرجل التومة فتنتفض الأمانة من قلبه فيقول الرها مثل الوقت هو الأثر المغاير كالتقلبة على الصحيحة ثم ينأى الرجل التومة فتنتفض الأمانة من قلبه، فينأى أثرها مثل أثر اللجل كالتدوير التي تظهر في اليد مثلا في استخدام الآليات الخشنة ثم قال: فيصبح الناس يتبايعون، لا يكاد أحد يؤدي الأمانة: حتى يُقال: «إن في بني فلان رجلاً أميناً، وحتى يُقال للرجل: ما أجده ما أظرفه ما أعلقه وما في قلبه مثقال حبة من خردل من إيمان». والحديث يصور انتزاع الأمانة من القلوب الخائنة تصويراً مرحجاً فهي كذكريات الخبير في النفوس الشريفة، تمر بها وليست منها، وقد تترك من مرها أترا لأعما، بيد أنها لا تحيي ضميراً مات،



عُرف بالحلم والأناة ولين الجانب والرفق

## أبو بكر السباق في فعل الخيرات ومكارم الأخلاق

حتى عُرف بالحلم والأناة، ولين الجانب والرفق، وهذا لا يعني أن أبا بكر لم يكن بغضب، وإنما كان غضبه لله تعالى، فإذا رأى محارم الله قد انتهكت غضب لذلك غضباً شديداً.

لقد عاش بعد رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: «مأملاً ومتكراً» وعابلاً بقوله تعالى: «وسارعوا إلى مغفرة من ربكم وجنة عرضها السماوات والأرض أعدت للمتقين الذين ينفقون في السراء والضراء والكاظمين الغيظ والعافين عن الناس والله يحب المحسنين».

بلى أحب أن يغفر الله لي

كان أبو بكر يغول مسلح بن أناة، فلما قال في عائشة -رضي الله عنها- ما قال (حديث الأئمة المشهور) أقسم بالله أبو بكر ألا ينفعه أبداً، فلما أنزل الله -عز وجل-: «ولا يأتل أولو الفضل منكم والسعة أن يؤتوا أولي القربى والمساكين والمهاجرين في سبيل الله ولينفقوا وليصنعوا إلا تحبون أن يغفر الله لكم والله غفور رحيم» [التور: 22] قال أبو بكر: والله أتى أحب أن يغفر الله لي، فرجع إلى النفقة التي كان ينفق عليه وقال: والله لا أنزعها منه أبداً.

ولقد فهم الصديق من الآية أن على المؤمن التخلق بأخلاق الله، فيعفو عن الهفوات والزلات والزلزلات، فإن فعل فآله يعفو عنه ويستتر بتوبه، وكما تدبر تدبر، والله سبحانه قال: «ألا تحبون أن يغفر الله لكم، أي: كما تحبون عفو الله عن ذنوبكم فكذا المغفروا لمن ذنوبكم، وكما أن في الآية من حلف على شيء ألا يفعله، فرأى أن فعله أولى من تركه، أتاه وكفر عن يمينه، وقال بعض العلماء: هذه أرجى آية في كتاب الله تعالى: من حيث لطف الله بالذفة العصاة بهذا اللطف.

لقد دلت هذه الآية على أن أبا بكر أفضل الناس عند النبي -صلى الله عليه وسلم-: لأن الله وصفه بصفات عجيبة في هذه الآية، دلت على علو شأنه في الدين، أورد الرازي في تفسيره أربع عشرة صفة مستنبطة من هذه الآية: «ولا يأتل أولو الفضل منكم والسعة»، ومنها أنه بأنه صاحب الفضل على الإطلاق من غير تقييد لذلك بشخص دون شخص، والفضل يدخل فيه الإفصال، وذلك يدخل على أنه كان فاضلاً على الإطلاق، وكان مفضلاً على الإطلاق، ومنها أنه لما وصفه تعالى بأنه «أولو الفضل والسعة» للظلم الصابر المحتسب لأجره والثواب، وقبه حث على العطايا، وصلة الأرحام، وذم المسالة وأهلها، وظل الصديق متمسكاً بالحلم وكظم الغيظ

اتصف الصديق بالأخلاق الحميدة، والصفات الرفيعة ومسابقته في الخيرات حتى صار في الخير قدوة، وفي مكارم الأخلاق أسوة، وكان حريصاً أشد الحرص على الخيرات، فقد أبى أن ما يمكن أن يقوم به المرء اليوم قد يكون غير ممكن في الغد، فالיום عمل ولا حساب، وغداً حساب ولا عمل، ولذلك كان من المسارعين في الخيرات: فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: «من أصبح منكم اليوم صائماً؟» قال أبو بكر: أنا، قال: «من تبع منكم اليوم جنازة؟» قال أبو بكر: أنا، قال: «من أطعم منكم اليوم مسكناً؟» قال أبو بكر: أنا، قال: «من عاد منكم اليوم مريضاً؟» قال أبو بكر: أنا، فقال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: «ما اجتمعن في امرئ إلا دخل الجنة».

كظمه للغيظ

قال أبو هريرة: إن رجلاً شتم أبا بكر ورسول الله -صلى الله عليه وسلم- جالس، فجعل النبي -صلى الله عليه وسلم- يعجب ويبتسم، فلما أكثر الرجل رد عليه أبو بكر بعض قوله، فغضب النبي -صلى الله عليه وسلم- وقام، فحلفه أبو بكر وقال: يا رسول الله، كان يستمني وأنت جالس، فلما أكثر رددت عليه بعض قوله غضبت وقلت: فقال عليه الصلاة والسلام: «إنه كان معك ملك يرد عنك، فلما رددت عليه بعض قوله وقع الشيطان، فلم أكن لأفعد عليه بعض قوله ثم قال: «يا أبا بكر، ثلاث كثرن حق: ما من عبد ظلم بمثلته فيغضب عنها لله -عز وجل- إلا عز الله بها نصراً، وما فتح رجل باب عطية يريد بها صلة إلا زاده الله بها كثرة، وما فتح رجل باب مسألة يريد بها كثرة إلا زاده الله بها كثرة». إن الصديق رضي الله عنه اتصف بكظم الغيظ ولكنه رد ما ظن أنه به يستك هذا الرجل، فرغبه النبي -صلى الله عليه وسلم- في الحلم والأناة، وأرشدته إلى ضرورة تحليه بالصبر في مواطن الغيظ، فإن الحلم وكظم الغيظ مما يزيد المرء ويجمله في أعين الناس، ويرفع قدره عند الله تعالى.

ويتبين لنا ذلك من هذا الموقف حرص الصديق على عدم الغضب النبي -صلى الله عليه وسلم- الإفصال، وذلك يدخل على أنه كان فاضلاً على الإطلاق، وكان مفضلاً على الإطلاق، ومنها أنه لما وصفه تعالى بأنه «أولو الفضل والسعة» للظلم الصابر المحتسب لأجره والثواب، وقبه حث على العطايا، وصلة الأرحام، وذم المسالة وأهلها، وظل الصديق متمسكاً بالحلم وكظم الغيظ



تزكية الأزواج بالتدبر والتأمل وأداء العبادات

## البناء التعبدية والأخلاق في العهد المكي

قال: الرحمن الرحيم: قال الله تعالى: «التي على عبيدي، وإذا قال: مالك يوم الدين: قال: مجدي عبيدي، فإذا قال: إياك نعبد وإياك نستعين، قال: هذا بيني وبين عبيدي ولعبيدي ما سأل، فإذا قال: أعبد الصراط المستقيم صراط الذين أنعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين قال: «ثم ما تنصعون».

عليه عبيدي ولعبيدي ما سأل».

طمانينة النفس وراحتها: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا حزبه أمر صلى، وقد جعلت فرة عينه في الصلاة، وقد علم الرسول صلى الله عليه وسلم المحاسبة كثيراً من السنن والنوافل لجزيادها صلة بربهم، وتأمين بها نفوسهم، وتصبح الصلاة سلاحاً مهما لحل همومهم ومشاكلهم.

الصلاة حاجز عن المعاصي: قال تعالى: «اتل ما أوحى إليك من الكتاب وأقم الصلاة إن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر وذمرك الله أكبر والله يعلم ما تصنعون».

كان الصحابة رضي الله عنهم عندما يؤدون صلاتهم تستريح بها نفوسهم، وتمدهم بقوة دافعة لفعل الخيرات والابتعاد عن المنكرات، فكانت لهم سبباً ميعباً حمامهم من الوقوع في المعاصي.

في الإسلام، فإن النفس البشرية إذا لم تتطهر من الرذائلها وتتصل بخالقها لا تقوم بالكثير من الشريعة الملقاة عليها، والعبادة والمداومة عليها تعطي الروح قوفاً ووزناً ودفعاً قوياً إلى القيام بما تومر به.

إن الصلاة تأتي في مقدمة العبادات التي لها أثر عظيم في تزكية روح المسلم، ولعل من أبرز آثارها التي أصابت الرعية الأول.

الاستجابة لأمر الله تعالى وإظهار العبودية له سبحانه: وقد لئى الله تعالى على عباده المؤمنين الذين استجابوا لأمره، فقال عز وجل: «والذين استجابوا لربهم وأقاموا الصلاة وآزرهم شورى بينهم وتمازروا بينهم ينفقون» [الشورى: 38].

وكان الرعية الأول يرى أن لكل عمل من أعمال الصلاة عبودية خاصة وتأثيراً في النفس وتزكية للروح.

مناجاة العبد ربه: وقد بين رسول الله صلى الله عليه وسلم مشهداً من مشاهد هذه المناجاة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «قال الله تعالى: قسمت الصلاة بيني وبين عبدي نصفين، ولعبيدي ما سأل، فإذا قال العبد: الحمد لله رب العالمين، قال الله تعالى: حذني عبيدي، وإذا

تزكية أرواح الرعية الأول بانواع العبادات: رزى رسول الله صلى الله عليه وسلم أصحابه على تزكية أرواحهم وأرشدهم إلى الطريق التي تساعد على تحقيق ذلك المطلب من خلال القرآن الكريم ومن أهمها:

التدبر في كون الله ومخلفاته، وفي كتاب الله تعالى.

التأمل في علم الله الشامل وإحاطته الكاملة بكل ما في الكون، بل ما في عالم الغيب والشهادة.

عبادة الله عز وجل، من أعظم الوسائل لتربية الروح وإجلها فدراً، إذ العبادة غاية التذلل لله سبحانه ولا يستحفظ إلا الله وحده.

العبادات التي تسمو بالروح وتطهر النفس نوعان:

النوع الأول: العبادات المفروضة كالصلاة، والصلاة، والصيام، والزكاة، والحج وغيرها.

النوع الثاني: العبادات بمعناها الواسع، ويشمل كل شيء يتنوّى به التقرب إلى الله سبحانه وتعالى فهو عبادة يباب صاحبها، وترقي روحه تربية حسنة.

إن تزكية الروح بالصلاة وتلاوة القرآن، وذكر الله تعالى، والتسبيح له سبحانه أمر مهم